حكايات نحبها جميعاً

٤

اللهمّ هؤلاء أهل بيتي

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

obeikandl.com

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

obeikandl.com

إنَّ الطُّيورَ على أشكالها تَقَعُ!!

زارتْ (نَـاهـدٌ) صَـدِيْقَتهَـا (نَبِيهَـة) ، فَلفَـتَ نَظَرَهَا مَكتبةٌ فَخْمةٌ في صَالونِ البَيتِ ، فَطلبتْ مَن صَدِيقتِها السَّماحَ لهَا بأنْ تنظرَ إلىٰ المَكتبةِ قَليلاً..

وَكانَ جَوابُ (نَبِيهَة): عَلىٰ الرَّحبِ والسَّعةِ ، فَوالدي لهُ اهتِمامٌ كَبيرٌ بكلِّ ما لهُ علاقةٌ بالفِكرِ والأَدَبِ والثَّقافةِ.

وَوقفتْ (نَاهدٌ) أمام رُفوفِ المكتبةِ ، وراحتْ تَقرأُ عناوين الكُتُبِ وَالمُجلَّداتِ ، وَلفتَ نَظرَها

كِتابُ (فَضائل آل البيت في ميزانِ الشَّريعةِ) ، فأخذتهُ ورَاحتْ تُقلِّبُ صَفحاتهِ.

وَفِي هَذهِ الأثناءِ رَنَّ جَرسُ البَيتِ ، فَفتَحتِ الصَّغيرةُ (سوسن) البابَ ، فَإذا هِيَ تَرىٰ والدهَا (نَاجِي).. فَرحَّبتْ بهِ بعفويةٍ.. وراحتْ تُفتِّشُ فِي الأكياسِ التي يَحْمِلُهَا ، وَهُوَ يَنظرُ إليها فَرِحاً مَسرُوراً.

وَلمَّا دَخلَ إلىٰ صالونِ البَيتِ ، رَأَىٰ صَديقَةَ ابنَتهِ ، فرحَّبَ بهَا.. وَكانَ سُرورُهُ أَكثرَ عِندَما رآهَا تَحملُ كِتاباً!

فَسألَها مُسْتَفسِراً: ما هذا الكِتابُ الذي بينَ يَديكِ؟

فَذكرت اسم الكِتَابِ ، ثُمَّ أَردفتْ: إنَّ الكِتابَ خَيرُ صَدِيقٍ ، فَفيهِ العلمُ والثَّقافةُ ، وَهُوَ خَيرُ

جَليسٍ.. ، وَيا لَيتَ الجَميعَ يَهتَمُّونَ بالكُتبِ أَكثرَ مِن اهتِمامهم بِقَضايَا دنيويةٍ لا تُسمنُ ولا تُغنِي من جُوعٍ.

وَقامَ الأُستاذُ (ناجِي) ، واحتضَنَ ابنَتهُ (نَاهِد) وهوَ يقولُ: لَقدْ صَدقَ المَثلُ العَربيُّ (إِنَّ الطُّيورَ على أَشكالهَا تَقَعُ) فَجميعُ أَفرادِ عائلتي لَهُمُ اهتمَامُهم الخاصّ بالكُتبِ ، وكُلّ أَصدقائهم وصديقَاتِهِم من هَذا الطِّراز.. بَارَكَ اللهُ بِكُمَا ، وسَدَّد خُطاكُمَا إلىٰ ما فيهِ الخَيرُ وَالسَّدادُ والتّوفيقُ..

يَا آل أَحمدَ أَنتُمُ الأُمراءُ

وَأَخرجتْ (ناهدٌ) مِنْ مِحفَظتهَا دَفترَها الصَّغير ، وراحت تَكْتُبُ فيه بعضَ الأحاديثِ النّبويّةِ ، وبعضَ أبياتِ الشِّعرِ ، وبعضَ الآياتِ

التي تَتحدَّثُ عن آلِ البيتِ ، وكانَ منها ما يلي:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٩ ـ ٦١] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

وعندَمَا نَزلتْ هَذهِ الآيةُ دَعَا رسولُ اللهِ ﷺ علياً وفاطِمَةَ وحَسَناً وحُسَيناً ، فَقالَ: «اللَّهُمَّ هؤلاءِ أهلُ بيتي».

وَقال تَعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى

ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٣٣] .

قَالُوا: يا رسولَ الله! مَنْ هؤلاءِ الذين وَجبتْ لنا مَودَّتهُم؟

قالَ: «عليّ وَفاطِمَةُ والحَسَن والحُسَين».

وروىٰ زيدُ بن أرقَمَ رضي اللهُ عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أَحِبُّوا اللهَ لما يَغْذُوكُمْ بهِ من نِعمِهِ ، وَأحبُّونِي لِحبِّ اللهِ ، وأَحبُّوا أَهلَ بيتِي لِحُبِّي».

وَعنْ عليٍّ رَضيَ اللهُ عَنْهُ قال: «أدِّبوا أولادَكُم على ثَلاثِ خِصالٍ: حُبِّ نبيِّكُمْ ، وحُبِّ أهلِ نَبيِّكُمْ ، وعَلىٰ قِراءةِ القُرآنِ ، فإنّ حَملةَ القُرآنِ في ظِلِّ اللهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلاّ ظِلّهُ مَعَ أنبيائهِ وأَصفِيائِهِ».

وَعِنْدَما فَهِمَ الصّحابةُ الأَكارمُ ماذا تَعني مَكانةُ آلِ البيتِ ، وقَّروهُمْ واحتَرَمُوهُمْ احتِراماً عَظِيماً ، ومن ذلكَ أنَّ زيدَ بنَ ثابتٍ رضي الله عنهُ رَكِبَ يَوماً ، فأَخذَ ابنُ عبّاسٍ رَضيَ اللهُ عَنْهُما بركابهِ ، فَقالَ: تَنحَّ يا بنَ عَمّ رسولِ الله ﷺ ، فقالَ: هَكذا أُمِرْنَا أن نَفعلَ بعلمائنَا وَكبرائنَا ، فَقالَ زيدٌ: أَرِني يَدَكَ فأخرجَ يَدهُ ، فَقبَّلهَا وقالَ: وهكذا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ نَبِيِّنا.

ورَحِمَ اللهُ الإمامَ الشافعيَّ عِندَما تحدَّثَ عَنْ آلِ البَيتِ بِقَوْلِهِ:

يَا آلَ بَيتِ رَسولِ اللهِ حُبُّكمُ
فَرضٌ مِنَ اللهِ في القُرآنِ أَنزلهُ
يكفيكُمُ من عَظيم الفَخْرِ أَنَّكم
مَنْ لمْ يُصلِّ عليكُمْ لا صَلاةَ لَهُ

أَجلْ!

فَمحبَّةُ أَهلِ البَيْتِ نَابعةٌ من مَحبَّةِ عَمودِ أَهلِ البَيتِ وهُوَ المُصطَفىٰ محمّدٌ ﷺ.

.. مَعَ سيِّدةِ نساءِ العالمين ..

وَقطعتْ (نَبيهةُ) على (ناهدٍ) شُرُودَها وتفكِيرهَا فِيْمَنْ سَتَكُونُ المَرأةُ من أَهلِ البَيتِ التي تترجِم حَياتها؟!

وذلكَ حينَ سَأَلَتْها: يا صَدِيقَتِي! كَمْ تكوَّنَ لديكِ مِنْ حِكاياتٍ جَمِيلةٍ؟ عندَ ذلكَ ابتَسمتْ (نَاهدٌ) وَقالتْ لِصديْقَتهَا: هلْ تَعرفينَ أَسماءَ نِساءٍ من العَهْدِ النّبويّ ، شريطةَ أَنْ يكنَّ مُنتسباتٍ إلى أهلِ البيتِ؟

أَجابتْ (نَبيهةُ) لا أَعرِفُ إلاّ الزَّهراءَ فاطمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها.

فاطِمةُ.. الزَّهراءُ.. بِضْعَةُ رسولِ الله وحَبِيْبَتهُ صلواتُ اللهِ عليهِ.. سيِّدةُ نِساءِ العالمينَ... أُمّ الحَسن والحُسين...!!

فقَالَتْ (ناهدٌ): أَحسنتِ يا عَزِيزَتي ، فَقدْ أَصابَ مَنْ أَطلقَ عليكِ اسم (نَبيهَة).

وعَادَتْ (ناهدٌ) إِلىٰ المَكتبةِ تُفتِّشُ عن كِتابٍ يتحدَّثُ عَنْ غالبيّةِ جَوانبِ حياتِهَا ، ولمَّا وجدتهُ أَخَذتهُ وَراحَتْ تُلخِّصُ منهُ ، فكانتْ هَذهِ الحِكَايةُ الرَّائعةُ:

مُنذُ بِداياتِ الوَحيِ أَسلَمتِ السَّيدةُ خديجةُ ومَعَها بناتُها .. وعلى رَأسِهنَّ السَّيِّدةُ فَاطِمَة ، والتي شَهِدَتِ المَصاعِبَ والمِحَنَ والفِتَنَ.. وَما كانَ يفعلهُ المُشْرِكُونَ بالرّسولِ وصَحْبهِ ، ومن ذلكَ مُقاطَعةُ المُشرِكينَ للرّسولِ وإِيْذَاؤُهُمْ والتَّنكيلُ بِهم.

ولمَّا أرادَ اللهُ أَنْ تَنْطَلِقَ الدَّعوةُ الإسلاميَّةُ منَ المَدينةِ المُنوَّرة ، أَذنَ رسولُ الله ﷺ للمُسلمينَ في مكَّةَ بأَنْ يَنطلقُوا إلى المَدِيْنَةِ المنوَّرةِ. وبَدأَتْ حَركةُ الهِجرَةِ ، وكانتْ هِجرَةُ السّيدةِ الزَّهراء..

زَفافٌ لا مَثِيْلَ لَهُ!!

وَبعدَ غَزوةِ بَدرٍ كانَ زَفافُ الزَّهراءِ إلىٰ عَليٍّ رَضيَ اللهُ عَنهما.. لكِنْ كيفَ كَانتْ حَفلةُ الزَّفافِ لابنة أعظمِ المَخلوقاتِ على وجهِ الإطلاقِ؟!

يَروي عليٌّ ما حدثَ فيقُولُ:

ذاتَ ليلةٍ دَخَلتْ عَلينا إحدَىٰ قَريباتٍ لنا ، فرأَتنِي شاردَ الذِّهنِ ، فقالَت:

لِماذا لَمْ تَتزوَّجْ بَعْدُ يا عَليّ؟

قُلتُ: ليسَ عِندي ما أتزوَّجُ بهِ..

قالت: ولكنَّكَ الشَّابُّ القَويُّ ، ورسولُ اللهِ ﷺ يُحبُّكَ ، فَلماذا لا تَذهبُ إليه وتَخطبُ ابنتَهُ فاطِمةَ؟

فانطلقتُ إلىٰ رَسولِ اللهِ ، فلمّا دَخلتُ عَليهِ ، حَاولتُ أَنْ أتكلَّمَ بذلكَ ، لكنَّ الكَلامَ هَرَبَ منِّي!!

فَرفعَ رَسولُ اللهِ ﷺ رَأسَهُ وقال: «ما جَاءَ بكَ يا عليّ؟ ألكَ حاجَةٌ؟».

فَسَكتُّ ، وبعدَ قليلٍ قال: «لعلكَ جئتَ تَخطُبُ فاطِمَةَ؟».

فقلتُ: نَعَمْ ، فقال: «وَهلْ عِندكَ مِنْ شَيءٍ تَستحلّها بِهِ من مهرٍ ونَحو ذلكَ ».

فَقُلتُ: لا ، واللهِ يا رَسولَ الله.

فقالَ: «قَدْ زَوَّجْتُكَها على درعِكَ الحُطميّة».

.. وكانَ زواجاً ناجحاً ، حَيثُ البَساطَةُ وعدَمُ

التَّكلّفِ ، فهُناكَ ما هُوَ أهمُّ من السُّرُرِ والأثاثِ والنّمارِقِ و.. و.

هُناكَ التَّجاذُبُ الرُّوحيّ... والتَّوافُقُ وَما إلى هُنالكَ ، لذلكَ دَعا رسولُ الله ﷺ لهُمَا قائلاً: «اللَّهُمَّ بارِكْ فِيْهِمَا ، وبارك لَهمَا في نَسْلِهِما».

وَلمّا كانَتْ معركةُ أُحُدٍ ، خرجَ عَليٌّ إلى القِتَالِ في سَبِيلِ اللهِ ، وخرجتِ الزهراءُ مُسَاعِدَةً للمُقاتِلينَ ، فراحَتْ تَحملُ الماءَ والطَّعامَ ، وتُساعِدُ الجَرْحَىٰ.

وهكذا كان دَوْرُهَا فِي غَزْوَةِ الخَنْدَقِ ، وَفي خَيْبَر ، وَفي فَتْحِ مَكَّة..

وَمِنْهَا كَانتِ الفُروعُ الزَّكيَّة

ويشاءُ اللهُ تَعالىٰ أَنْ يَستمرَّ النَّسلُ الطَّاهرُ

من سيِّدتنا فاطِمَة ، فَقدْ وَلَدتِ الحَسَنَ ثُمَّ الحُسَيـن ، وهُمَـا رَيحـانَتـا رسـولِ الله ﷺ ، وسِبْطَاهُ ، وسيِّدَا شَبابِ أَهلِ الجنَّةِ.

ثُمَّ وَلدتْ زَينبَ وَأُمَّ كُلثومٍ رضِيَ اللهُ عَن الجميعِ.

وَقد رَوتِ السَّيِّدةُ أمُّ سَلمةَ رضيَ اللهُ عَنهَا أنَّ رسولَ الله ﷺ جلَّل الحَسنَ وَالحُسينِ وَعليّاً وَفاطِمَةَ كِسَاءً ، ثُمَّ قال: «اللَّهُمَّ هؤلاءِ أَهلُ بَيتي وخـاصّتـي ، أَذْهِـبْ عَنْهُـمُ الـرِّجـسَ وطهِّـرهُـمْ تَطهِيراً».

فقالتْ أُمُّ سَلمة: وأنا مَعَهُمْ يا رسولَ اللهِ؟

قالَ: «إِنَّكِ إلىٰ خَيرٍ».

آلُ النَّبـــــيِّ ذَرِيعَتـــــي

وَهُـــم إليـــهِ وَسيلتِـــي

أَرجُـــو بِهِـــمْ أُعطَـــى غَـــداً

بِيَـــدي اليُمنَـــى صَحِيْفَتِـــي

وَداعاً.. وإلى لِقَاءٍ

وَلمَّا تَمدَّدَ المُصطَفىٰ ﷺ عَلىٰ فِراشِ المَوتِ صاحتِ الزَّهراءُ: وَاكربَ أَباه ، فقالَ: «ليسَ علىٰ أَبيكِ كَربٌ بعدَ هذا اليوم».

وَبعدَ أَنْ دُفِنَ صَلواتُ اللهِ عليهِ ، جَاءَتْ إلى القَبْرِ الشَّريفِ وَقالَتْ:

مَاذا عَلىٰ مَنْ شمّ تُربةَ أَحمدٍ

أَلاّ يشُمَّ مَدىٰ الزَّمانِ غَوالِيَا

صُبَّتْ عليَّ مصائِبٌ لو أَنَّها

صُبَّتْ عَلى الأَيَّامِ عُدْنَ لَيالِيا

وكانَ حُزْنُها كَبِيراً ، حتَّى قِيْلَ: ما رُئِيَتْ

ضاحِكةً بعدَ وَفاةِ رسول الله ﷺ حتَّى لَحِقَتْ بهِ.

وفي شَهْرِ رَمضَان، وبعدَ عِدَّةِ أَشهرٍ منْ انتقالِ رَسولِ اللهِ ﷺ إلى الرَّفيقِ الأعلى، أسلمتِ الرّوحَ الطَّاهرةَ إلى بَارِئها... فوقفَ عليٌّ على قَبْرِها وأنشدَ:

لِكُلِّ اجْتِماعٍ مِنْ خَليلينِ فُرْقَةٌ
وكلُّ الذي دُونَ المَمَاتِ قَلِيْلُ
وإِنَّ افتِقَادِي فاطِماً بعدَ أَحمدَ
دليلٌ على أَنْ لا يَدُومَ خَليلُ

فَسلامٌ على الزَّهراءِ يومَ وُلدَتْ، وسلامٌ عليها يومَ ماتَتْ، وسلامٌ عليها إلى يومِ يُبعثُون.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ